بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## افتتاح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

اللهم بك آمنا. وعليك توكلنا. واليك أنبنا واليك المصير.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

**وبعد:**

إذا كانت نعم الله على الإنسان لا تحصى، فمن أجل هذه النعم جميعاً نعمة العقل، فبه يتفهم الإنسان شرائع الله وأحكامه، وبه يقف على حكمه في الكون وأسراره، وبه كرم الإنسان وفضل على كثير ممن خلق الله، وبه عمرت الحياة وأخذت الأرض زخرفها وازينت، وبه حقق الإنسان في ميادين العالم وفنونه المختلفة ما يشبه المعجزات حتى داس بأقدامه على هامات الكواكب في آفاق السماء.

ولكن هل يستطيع هذا العقل الذي أجاد وأبدع في كل مناحي الحياة أن يقيم بذاته ميزان العدالة في الأرض، وأن يرسي قواعد الحق والخير فيها؟

وهل من طاقته أن ينشئ من المبادئ والأحكام ما يكفل لكل ذي حق حقه دونما زيغ ولا شطط!

وهل هو قادر على أن يبدع من المثل العليا ما يغرس بذور الفضيلة في كل نفس ويحصد أشواك الرذيلة من كل قلب.

هل يستطيع هذا العقل بذاته أن يحقق للإنسانية كل ما تصبو إليه من سعادة حقيقية في حياتها وأخراها؟

بكل تأكيد لا يستطيع العقل ذلك لأن هذه الأمور أبعد ما تكون عن طاقته وحدود قدراته، فهناك الأثرة والأنانية وهناك حب التسلط والاستعلاء هناك المصالح المتباينة و الأهواء المتعارضة. وكل هذه المعاني وأمثالها، لابد وأن تترك بصماتها على عقل الإنسان، وهو بصدد

ما ينشئه من أحكام فتكون القوانين خاضعة لسلطان الهوى، فيمتزج الحق بالباطل والخير بالشر، وتختل موازين العدالة وتضطرب مقاييسها ويشيع الظلم في المجتمع وتنمحي منه معالم الرحمة.

وإلا فما أكثر القوانين التي تغنى بها أربابها حين أنشؤوها واعتبروها حينذاك ثماراً يانعة من ثمار عبقريتهم ونبوغهم، وخدعوا الآخرين ببريقها الزائف، وأوهموهم بأنها الحق الذي لا مرية فيه ثم تكشفت الأيام عنها فإذا بها الباطل الذي لا خير فيه.

وهكذا كل تشريع جديد يخالف أحكام الله وتعاليمه ينخدع به ضعاف الإيمان حين صدوره، ثم لا تلبث الأيام إلا أن تثبت أنه سراب بقيع يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

وما ذلك إلا لأن الإنسان حين ينخدع بعقله يضله عقله، ويظل يتخبط به في دياجير الضلال عن نور الله وهدايته.

فإذا كان الإنسان لا يرى بعينيه المجردتين في الظلام الدامس رغم وجود حاسة الإبصار فيهما، فكذلك لا يستطيع عقله المجرد أن يحقق له أسباب السعادة الحقيقية - رغم وجود حاسة الإدراك فيه - ما لم يكن هناك نور من الله يهديه إلى ذاك الطريق. ونور الله في الأرض هو تعاليمه وأحكامه، ومن ثم فقد كان من رحمة الله تعالى بنا أن أرسل إلينا رسلا مبشرين ومنذرين حتى لا نضل أو نشقى، وواكبت شرائعه مسيرة الإنسان على درب الحياة وقادت خطاه عبر العصور.

فلما اكتمل رشد الإنسانية أو كاد بعث الله سيدنا محمدًا ﷺ بالشريعة الإسلامية الخالدة فنظمت كل علاقات الإنسان في الحياة. نظمت علاقته بربه، وعلاقته بأسرته وعلاقته بمجتمعه، وعلاقة المجتمع به، وعلاقة المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات الأخرى.

وقد اهتم الفقه الإسلامي ببيان جل هذه العلاقات وأفاض القول فيها حتى غدا هو المورد العذب والمنهل الصافي لكل العصور الإسلامية تنهل من غديرة الثرى ما يغنيها على السير قدما في طريق الحياة المثلي دونما عوج أو التواء.

وعطاء الفقه الإسلامي متجدد دائما فيقتبس منه كل عصر ما يناسبه ويتلاءم معه وذلك بفضل الفقهاء المجتهدين على امتداد التاريخ الإسلامي، إذ كانوا يتصدون لما يستجد من المشاكل، فيعملون على حلها وبيان حكم الشريعة فيها مستلهمين في ذلك روحها السمحة ومقاصدها السامية من الحفاظ على الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومن حرصها كل الحرص على تحقيق مصالح العباد ورفع الحرج عنهم.

فليس الفقه الإسلامي بمعزل عن الحياة، وكيف يكون بمعزل عنها بينما هو قد جاء إليها ليقود حركتها ويمضي معها في ركب الزمان يضيء لها الفضيلة ويجنبها التردي في مهاوي الرذيلة.

ومن ثم فهذا العلم يعتبر من أجل العلوم قدراً وأرفعها منزلةً، لأنه يستمد شرفه من شرف مصدره ونبل غايته.

ولما كان هذا العلم يحتل هذه المكانة المرموقة نرى الباحثين قد اهتموا بأمره، فتكلموا عن أطواره ومذاهبه ومصادره وأهم نظرياته ومبادئه العامة.

وكان من فضل الله تعالى على أن قيض لي المضي على نفس الدرب لأسهم فيه بجهد متواضع مستعينا بالله وسائلاً إياه التوفيق والسداد، وأن ينفع به، وأن يهدينا جميعا سبيل الرشاد إنه سميع مجيب؟

**عبد الفتاح محمد أبوالعينين**
**في يوم الأحد الموافق**
**٢٢ من رمضان سنة ١٤٠٨ هـ**
**٨ مايو سنة ١٩٨٨م**

* * *

## خطة البحث

**لقد قسمت هذا الكتاب على باب تمهيدي وخمسة أقسام:**

**أما الباب التمهيدي**: فهو في بيان معنى كلمة الشريعة وبيان مدى العلاقة بينها وبين كل من كلمة الدين وكلمة الملة وبيان العلاقة بين الشريعة الإسلامية وبين غيرها من الشرائع السابقة عليها.

وكذلك بيان معنى كلمة الفقه، ومدى العلاقة بين كلمة الفقه وكلمة الشريعة.

ثم بيان أقسام الفقه الإسلامي ومشتملاته، وعقد موازنة بين الفقه الإسلامي وبين غيره من القوانين الوضعية.

**وأما القسم الأول**: فهو في تاريخ الفقه الإسلامي وأطواره.

**والقسم الثاني**: في أئمة المذاهب الفقهية.

**والقسم الثالث**: في نظريات ومبادئ عامة في الفقه الإسلامي.

**والقسم الرابع**: في أسس التشريع الإسلامي.

**والقسم الخامس**: في مصادر الفقه الإسلامي.

* * *